إعجاز القرآن عند العلامة الأوردبادي

Al- Ordabadi of The miracle of the Quran

فياض عبد الأمير حسن

Fyadh Abd AL Ameer Hassan

أ.م.د ناهدة جليل الغالبي

Asst. Prof. Dr.Nahida Jaleel Abdulhassan Alghalibi

جامعة كربلاء/ كلية العلوم الإسلامية

University of Karbala / College of Islamic Sciences

الكلمات المفتاحية: الاعجاز، القرآن، التفسير، التأويل،الاوردبادي، دراسة.

keywords: Miracles, the Qur’an, interpretation, exegesis, Urdabadi, study.

الملخص

ذكر الباحث سيرة العلاَّمة الأوردبادي، ذكر فيها اسمه ونسبه، ولادته ونشأته، اجتهاده، صفاته، جهاده ودوره السياسي، و وفاته، بعد ذلك تناولت مبحث اعجاز القرآن عند العلاَّمة الأوردبادي، من خلال بيان مفهوم الاعجاز في اللغة والاصطلاح، مراحل التحدي، شروط المعجزة، القرآن المعجزة الخالدة، أنواع الاعجاز، جاءت الخاتمة بأهم ما رشح من نتائج، وقائمة بالمراجع.

Abstract

The researcher mentioned the biography of the Sheikh Al- Ordabadi، he mentioned his name and lineage، his birth and upbringing، diligence، qualities، jihad and political role، and his death، after that I dealt with the topic of miracle of the Quran at the Sheikh Al-Ordabadi، by explaining the concept of miracle in language and convention، Challenge stages، terms of the miracle، the Quran is the eternal miracle، and types of miracle.

The conclusion came with the most important results nominated، and a list of references.

المقدمة

ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبۡدِهِ ٱلۡكِتَٰبَ وَلَمۡ يَجۡعَل لَّهُۥ عِوَجَاۜ، وجعله حبلاً مدوداً بينه وبين عِباده، وجعله نهجاً سوياً، فكان على مر العصور شرعةً ومنهاجاً، وللتائهين في الظلمات سراجاً وهاجا. والصلاة والسلام على سيدنا ونبينا محمد وآله والطيبين الطاهرين.

وبعد..

لا يخفى على الباحث أهمية علوم القرآن الكريم ودراستها إذ تبرز هذه الأهمية من خلال تعلقها بكلام الله تعالى، الذي هو المصدر الاول للتشريع الإسلامي، إذ إن علوم القرآن والسنة الشريفة هي التي تبين ذلك الطريق لفهم مراد الله تعالى من كتابه العزيز، واستنباط أحكامه، ومقاصده، والعبر، فهي الأساس والمفتاح لفهم القرآن الكريم، وحل مشكله، وفهم متشابهه بصورة صحيحة، فلولا الاطلاع على علوم القرآن يصعب فهم كتاب الله تعالى بصورة كاملة، لأننا بتركنا لهذه العلوم لا نعلم المحكم والمتشابه، ولا أحكام الناسخ والمنسوخ، إلى غير ذلك من علوم القرآن الكريم.

انطلاقاً مما تقدم ذكره ولأهمية علوم القرآن الكريم في فهم كتاب الله تعالى، ولإبراز جهد العلامة الأوردبادي ومكانته العلمية، ورغبت الباحث في دراسة مباحث علوم القرآن، وبغية إن احوز فضل تعلم القرآن وتعليمه وامتثالاً لقول رسول الله ﷺ: "خِيَارُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ"[1]، من هذا المنطلق جاء هذا البحث الموسوم بـ (إعجاز القرآن عند العلامة الأوردبادي ـ عرض وتحليل ـ).

أما خطة البحث: خرج البحث بمقدمة ومبحثين: تناولت في المبحث الأول: سيرة العلامة الأوردبادي، وفي المحث الثاني: تحدثت عن إعجاز القرآن الكريم، ومفهوم الإعجاز لغة واصطلاحاً، ومراحل التحدي، وشروط المعجزة، والقرآن المعجزة الخالدة، وأنواع الأعجاز.

في حين جاءت الخاتمة حاملة لأهم ما رَشَحَ من نتائج البحث التي توصلت إليها في ضوء رحلتي البحثية، وقائمة بأهم المراجع، وآخر دعوانا أنْ الحمد لله رب العالمين.

المبحث الأول: سيرة العلامة محمد علي الأوردبادي

يُعد الشيخ محمد علي الأوردبادي من أعلام الشيعة في القرن الرابع عشر، ونابغة في مختلف العلوم، فعرف عنه فقيهاً واديباً وشاعراً بارعاً، حيث برع في الأدب والشعر، حتى صار حجة في علوم اللغة العربية، والفقه والأصول، والحديث، والرجال، والكلام، والتفسير، وغيرها، فكان مثالاً في الزهد والتقوى والورع، وكان عالماً فاضلاً زاهداً عن حطام الدنيا، فعرف عنه أنه لم يترك باباً من ابواب الخدمة والجهاد التي يمكنه الوصول إلى هدفه منها إلا ولجه، كما كانت يده بيضاء في خدمة جماعة من المؤلفين في النجف وغيرها، فقد ساعد الكثير دون أن ينتظر منهم جزاء أو شكورا، بل كان غرضه من ذلك خدمة العلم للعلم، والأدب للأدب، وبتكون من المطالب الآتية:

المطلب الأول: اسمه ونسبه

هو الشيخ محمد علي بن الميرزا أبي القاسم بن محمد تقي بن محمد قاسم الأوردبادي التبريزي النجفي نزيل النجف هو أحد الفطاحل من علماء القرن الرابع عشر[2]، والده: "الفقيه الجليل العلامة ميرزا أبو القاسم بن محمد تقي الأوردبادي، أحد الفقهاء الاجلاء، ولد في سنة 1274هـ، وأخذ من أساطين الدين غير أنه أتم دروسه العالية في النجف الأشرف لدى الأعلام، الفقيه الشيخ محمد حسين الكاظمي، والمولى علي النهاوندي وغيرهم رضوان الله عليهم اجمعين"[3]، أما لقبه: الأوردبادي؛ نسبة إلى بلدة " أُردباد " التي تقع على الحدود بين اذربيجان والقفقاز قرب نهر أرس[4].

المطلب الثاني: ولادته ونشأته

ولد الشيخ محمد علي الأوردبادي 21 رجب عام 1312هـ[5]، في مدينة تبريز، أتى به والده العلم الجليل إلى النجف بعد خمسة سنوات من ولادته[6]، وأخذ العلم عن والده ثم عن أستاذه العالم شيخ الشريعة الأصفهاني وحجة الاسلام الميرزا علي آقا الشيرازي والبلاغي، والشيخ محمد حسين الأصبهاني[7].

نشأ وتعلم في النجف الأشرف ووجهه والده خير توجيه[8]، وقرأ المقدمات الأولية على لفيف من رجال الفضل والعلم، ثم حضر الدروس في الفقه والأصول على والده، وعلى شيخ الشريعة الأصفهاني، كما أخذ عنه الحديث والرجال ايضاً، ودرس التفسير والكلام على الشيخ محمد جواد البلاغي، ودرس الفلسفة على الشيخ محمد حسين الأصفهاني، ولازم حلقات دروس مشايخه الثلاثة المتأخرين أكثر من عشرين سنة[9]، فكان من رجال العلم

والأدب، عرف بنكران الذات، بذل الكثير في مساعدة كثير من المؤلفين والمحققين قربة لله وخدمة للعلم وأهله، دون أن ينهمك في مشاريعه الخاصة التي تحسب له، لذلك لم تظهر له آثار تتناسب ومقامه الرفيع وضخامة علمه[10].

المطلب الثالث: اجتهاده

أجيز بالاجتهاد عن أستاذه آية الله العظمى السيد الميرزا علي آغا الحسيني الشيرازي خَلف سيد الأمة الإمام المجدد السيد الميرزا محمد حسن الشيرازي، وشهد له والميرزا حسين النائيني، والشيخ عبد الكريم الحائري، والشيخ محمد باقر البيرجندي، والشيخ محمد رضا ـ أبي المجد ـ الأصفهاني، والسيد حسن الصدر وغيرهم[11].

المطلب الرابع: صفاته

العلامة محمد علي الأوردبادي "من اساطين علماء الأمامية، وأماثل رجال الفكر والأدب، خدم الشريعة الغراء بكل ما أوتي من طاقة، ووهب من ملكات ولم يدخر جهداً في السعي إلى تقديم ما في وسعه من تشجيع المؤلفين، وأعانتهم بما كان يمدهم به من توجيه وإرشاد إلى ما يحتاجون إليه من المصادر والمراجع التي لو لا أحاطته فيها ما تسنى لهم معرفتها والوقوف عليها، ولا يبتغي من وراء ذلك كله جزاءً و لا شكورا، إلا ابتغاء وجه الله تعالى"[12] ومن جهة أخرى كان حسن الأخلاق جم التواضع، "يفيض قلبه ايماناً وثقة بالله تعالى، ويقطر نبلاً وشرفاً، فكان مخلصاً في كل الأعمال ولا سيما العلمية، ونكرانه لذاته، فكان مبتعداً عن زخارف الحياة ومظاهرها الخداعة، زاهداً في الدنيا، مبتعداً عن طلب الشهرة والضوضاء، كان صورة طبق الأصل مما كان عليه مشايخنا الماضون رضوان الله عليهم"[13]، كما وصفه الأميني في كتابه ـ معجم رجال الفكر والأدب ـ بـ: الفقيه الفيلسوف الشاعر المتتبع[14].

المطلب الخامس: جهاده ودوره السياسي

كان للعلامة محمد علي الأوردبادي دور جهادي سياسي في تشجيع وحث المجاهدين ضد الإنجليز في الثورة العراقية [15]، كما أنه قضى عمره الشريف في خدمة الدين والعلم ووقف نفسه لخدمتها حتى أواخر أيامه، وجاهد في سبيل الله تعالى طويلاً بقلمه ولسانه، وساهم في مختلف مجالات الخدمة وميادين الاصلاح، ومن جهة أخرى كان له دور في مقاومة حملات التبشير بعنف وحماس وكتب عشرات المقالات في مجلات البلاد الاسلامية، ودعا إلى أهل البيت عليهم السلام بما أوتي من حول وقوة، وذب عنهم ونقد خصومهم وحارب أعدائهم بلا هوادة، وأيضاً بذل جهداً كبيراً في نشر فضائلهم والاسهام في إقامة شعائرهم[16].

المطلب السادس: وفاته

توفي في كربلاء في ليلة الأحد، 15 صفر، سنة 1380هـ، فنقل إلى النجف وشيع تشيعاً يليق بمكانته وخدماته ودفن في الحجرة الثالثة على يسار الداخل إلى صحن الشريف من باب السوق الكبير، وهي التي دفن

فيها الشيخ ميرزا علي الإيرواني، وغيرهم من الأعلام، واقيمت له حفلة في أربعينه في ـ مسجد الشيخ الأنصاري _ أبنه فيها العلماء ورثاه الشعراء[17].

المبحث الثاني: اعجاز القرآن الكريم

توطئة

لا شك أن بحث إعجاز القرآن الكريم، من المباحث المهمة، والحيوية؛ وذلك لتعلقه بصدق النبي المرسلﷺ، وبصحة رسالته التي جاء بها، ولَما اقتضت الحكمة الإلهية أن يكون النبي المرسلﷺ بشراً يوحى إليه، دعت الحاجة إلى آيات تبيّن صدقه فيما يدعي، واقامة الحجج والبراهين على البشر، فكانت تلك المعجزات، بما يفوق قدرات ومدارك الناس وتبهرهم، فلولا المعجزة لما امكن التمييز بين الصادق والمدعي، ويتكون من المطالب الآتية:

المطلب الأول: مفهوم الإعجاز لغة واصطلاحاً

اولاً: الإعجاز لغة:

قال إبن فارس: "الْعَيْنُ وَالْجِيمُ وَالزَّاءُ أَصْلَانِ صَحِيحَانِ، يَدُلُّ أَحَدُهُمَا عَلَى الضَّعْفِ، وَالْآخَرُ عَلَى مُؤَخَّرِ الشَّيْءِ، فَالْأَوَّلُ عَجِزَ عَنِ الشَّيْءِ يَعْجِزُ عَجْزًا، فَهُوَ عَاجِزٌ، أَيْ ضَعِيفٌ، وَيُقَالُ: أَعْجَزَنِي فُلَانٌ، إِذَا عَجِزْتُ عَنْ طَلَبِهِ وَإِدْرَاكِهِ، وَأَمَّا الْأَصْلُ الْآخَرُ فَالْعَجُزُ: مُؤَخَّرُ الشَّيْءِ، وَالْجَمْعُ أَعْجَازٌ"[18]، والعجز نقيض العزم[19].

وعرفه إبن منظور بقوله: "العَجْزُ: نَقِيضُ الحَزْم، وَمَعْنَى الإِعْجاز الفَوْتُ والسَّبْقُ، يُقَالُ: أَعْجَزَني فُلَانٌ أَي فَاتَنِي، ويقال: أعجزه الأمر، إذا حاول القيام بشيء ولم تسعه قدرته، وأعجزتُ فلاناً: إذا وجدته عاجزاً أو جعلته عاجزاً"[20].

وفي التنزيل قال تعالى: ﴿ لَّن نُّعۡجِزَ ٱللَّهَ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَن نُّعۡجِزَهُۥ هَرَبًا﴾[21]. وقوله تعالى: ﴿وَمَآ أَنتُم بِمُعۡجِزِينَ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾[22].

والذي يظهر من خلال ما تقدم أن الإعجاز عند أهل اللغة يأتي بمعنى الضعف، وعدم القدرة على فعل الشيء.

ثانياً: الإعجاز اصطلاحاً:

عُرِفَ الإعجاز بأنه: "أن يأتي الإنسان بشيء يعجز خصمه عنه و يقصر دونه فيكون قد جعله عاجزا عنه"[23].

ونلاحظ على هذا التعريف أنَّ الإعجاز اتيان الشيء المعجز مقابل الخصم الذي يعجز عن ذلك الشيء.

وذكر السيوطي تعريفاً للمعجزة، إذ قال: "إنَّ المعجزة أمرٌ خارق للعادة، مقرون بالتحدي، سالم عن المعارضة"[24].

وتعريف السيوطي يلاحظ عليه إن الإعجاز مقرون بالتحدي.

ومعنى الإعجاز عند الشيخ البلاغي هوَ: "الذي يأتي به مُدَّعي النُّبوَّة بعنايَةِ اللهِ الخاصَّة خارقاً للعادة، وخارجاً عن حدود القُدرةِ البشريَّة وقوانِين العِلمِ والتَّعلُّم، لِيَكون بذلكَ دلِيلاً على صِدْقِ النَّبِي ﷺ وحجَّته في دعواه النَّبوة ودعوته"[25].

وهذا المعنى يلاحظ عليه إنه مخصوص بنبوة النبي محمد ﷺ في دعواه.

أما السيد الخوئي يرى أن الإعجاز هو: "أن يأتي المدعي لمنصب من المناصب الإلهية بما يخرق نواميس الطبيعة ويعجز عنه غيره شاهداً على صدق دعواه"[26].

يظهر من تعريف السيد الخوئي أنه قيد المعجزة بمنصب من المناصب الالهية وربما يتعدى مفهوم المنصب إلى الإمامة وقبلها النبوة.

وعُرفت المعجزة بانها: "أمر يعجز البشر متفرقين ومجتمعين عن الإتيان بمثله"[27].

والشيخ محمد هادي معرفة يعرف المعجزة بقوله: "تطلق على كل أمر خارق للعادة، إذا قرن بالتحدي وسلم عن المعارضة، يظهره الله على يد أنبيائه ليكون دليلاً على صدق رسالتهم"[28].

وعرفها أيضاً محمد باقر الحكيم إذ قال هي: "أن يحدث تغيراً في الكون ـ صغيراً أو كبيراً ـ يتحدى به القوانين الطبيعية التي ثبتت عن طريق الحس والتجربة"[29].

يتضح من خلال ما تقدم من تعريفات العلماء للمعجزة أنها جاءت لتحدي الخصم بما يعجزه.

المطلب الثاني: مراحل التحدي

قال العلامة الأوردبادي: "قد بلغ العرب في الذكاء حداً لا يُجارى ولا يبارى؛ إصابة الحدس وصدق الفراسة، فكانوا يتفرسون كأنهم يخبرون عن المَغيب، ويتشدقون في سرد الحقائق البعيدة كمن وقف عليها من كثب، فما راعَهُم، إلا رسولٌ كريمٌ بكتاب عزيز، قال تعالى: ﴿لَّا يَأۡتِيهِ ٱلۡبَٰطِلُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَلَا مِنۡ خَلۡفِهِۦۖ تَنزِيلٌ مِّنۡ حَكِيمٍ حَمِيدٖ﴾[30]، وابهرت بلاغته العقول، وظهرت فصاحته على كل معقول، صارخاً بهم في كل حين، ومقرعاً لهم بضعة وعشرين عاماً على رؤوس الملاء أجمعين"[31]، وذكر العلامة الأوردبادي مراحل التحدي في القرآن الكريم، وبينها حسب الترتيب الآتي:

المرحلة الأولى: تحداهم بأن يأتوا بمثل هذا القرآن الكريم، وهو يعلم أنهم لا يأتون به[32]؛ قال تعالى: ﴿قُل لَّئِنِ ٱجۡتَمَعَتِ ٱلۡإِنسُ وَٱلۡجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأۡتُواْ بِمِثۡلِ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ لَا يَأۡتُونَ بِمِثۡلِهِۦ وَلَوۡ كَانَ بَعۡضُهُمۡ لِبَعۡضٖ ظَهِيرٗا ٨٨﴾[33]، فلم يستطيعوا، فتنازل معهم إلى الأقل من ذلك.

المرحلة الثانية: فلما لم يستطيعوا، خطى خطوة أخرى ـ جلت عظمته ـ إذ تنازل معهم في الحجاج؛ بطلب عشر سُور مفتريات[34]، كما في قوله تعالى: ﴿أَمۡ يَقُولُونَ ٱفۡتَرَىٰهُۖ قُلۡ فَأۡتُواْ بِعَشۡرِ سُوَرٖ مِّثۡلِهِۦ مُفۡتَرَيَٰتٖ وَٱدۡعُواْ مَنِ ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ١٣ فَإِلَّمۡ يَسۡتَجِيبُواْ لَكُمۡ فَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَآ أُنزِلَ بِعِلۡمِ ٱللَّهِ وَأَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ فَهَلۡ أَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٤﴾[35]، فلما عَجزوا عنها، تدرج إلى ما هو دون ذلك.

المرحلة الثالثة: ثم بالغ سبحانه وتعالى، في تعجيزهم، ورفع مستوى القرآن الكريم، عن حيز القدرة البشرية، فطلب أن يأتوا بسورة كإحدى سور القرآن، ولو كانت قصيرة، فقصرت عنها مُنتهم[36]، كما في قوله تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ٣٨﴾[37]، على الرغم من هذا لم يستطيعوا أن يأتوا بسورة، وفي هذا السياق قال تعالى: ﴿وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ٢٣﴾﴿فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا۟ وَلَن تَفْعَلُوا۟ فَٱتَّقُوا۟ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ ۖ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ٢٤﴾ [38].

ويوجز لنا العلامة الأوردبادي قائلاً: "في هذه الآيات المباركة مماشاة لهم في تحري المعارضة، فإن نسج الباطل أسهل، وتلفيق المفتري أهون من تنسيق الحقائق، فلم يكلفهم المولى سبحانه، إلا بأسهل الأمرين، وما هو تحت قدرتهم وقيد طاقتهم، فتحداهم وأعجزهم بآيات كريمة"[39].

المطلب الثالث: شروط المعجزة: ذكر العلماء عدة شروط لتحقق المعجزة، منها:

الأول: "أن تكون من الأمور الخارقة للعادة؛ سواء كان هذا الأمر الخارق من قبيل الأقوال؛ كتسبيح الحصى، والقرآن، أو من قبيل الأفعال؛ كانشقاق القمر، وانفجار الماء من بين أصابعه ﷺ، أو كانت ترك فعل كعدم إحراق النار لإبراهيم عليه السلام وعدم إغراق البحر لموسى عليه السلام وقومه"[40].

الثاني: "أن يكون الخارق من صنع الله تعالى وإنجازه، فالمعجزة هبة من الله سبحانه، لا يستطيع أحد يعيّن زمانها ونوعها"[41].

الثالث: "سلامتها من المعارضة بالإتيان بمثلها؛ إذ لو استطاع البشر الإتيان بمثلها لما صلحت علامة على أن صاحبها مرسل من ربه، فلا بد لكونها علامة على صدق صاحبها في أنه مرسل من ربه أن لا يقدر البشر كلهم؛ بل والجن معهم على الإتيان بمثلها؛ لأنها من قدرة الله وحده"[42]، كما في قوله تعالى: ﴿فَلْيَأْتُوا۟ بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِۦٓ إِن كَانُوا۟ صَٰدِقِينَ٣٤﴾[43].

الرابع: "هُوَ أَنْ تقع على وفق دعوى المتحدي بها؛ كما لو قال: آية نبوتي وَدَلِيلُ حجتي أَنْ تنطق يدي فنطقت يَدُهُ بأن قَالَتْ: كَذَبَ وليس هُوَ نبي فإن هَذَا الكلام الَّذِي خلقه الله سبحانه دال كذب المدعي للرسالة؛ لِأَنَّ مَا فعله اللَّهُ لَمْ يقع على وفق دعواه"[44].

الخامس: "أن يستدل بها النبي على صدقه في رسالته؛ إذ الغرض من إظهارها إثبات أمرين: أولهما: أنه صادق في دعوى الرسالة، ثانيهما: أنه مرسل من الله لا من غيره، فينبغي أن يكون إظهارها لإثبات ذلك لا لغيره دونهما"[45].

السادس: "أن يكون ظهور المعجزة أو المعجزات بعد دعوى الرسالة؛ حتى يصح الاستشهاد بها، أما إذا تقدم وقوع الأمر الخارق على دعوى الرسالة فإنه لا يسمى معجزة وإنما يسمى "إرهاصاً" كتظليل السحابة للرسول ﷺوهو في سفره إلى الشام قبل البعثة"[46].

فهذه الشروط التي يجب أن تتوفر في المعجزة، وإن اختل شرط منها لا تكون معجزة.

المطلب الرابع: القرآن المعجزة الخالدة

إن القرآن الكريم، هو المعجزة الإلهية الخالدة، التي جاء بها الرسول الأعظم ﷺ، "والمعجزة إما حسية، وإما عقلية، فالحسي: ما يدرك بالبصر، كناقة صالح، وطوفان نوح، عليهما السلام، والعقلي: ما يدرك بالبصيرة، كالإخبار عن الغيب، والإتيان بحقائق العلوم، وجعل الله تعالى أكثر معجزات بني إسرائيل حسياً لبلادتهم، وقلة بصيرتهم، وأكثر معجزات هذه الأمة عقليةً لذكائهم وكمال أفهامهم"[47]. وذكر السيوطي قائلاً: "أن هذه الشريعة لما كانت باقية على صفحات الدهر إلى يوم القيامة، خصت بالمعجزة العقلية الباقية؛ ليراها ذوو البصائر، ومعجزة القرآن الكريم، مستمرة إلى يوم القيامة"[48].

وقد وصف براعة عرب الجاهلية في القصائد المعلقة العلامة الأوردبادي قائلاً: "أن العرب كانوا يتميزون بالبراعة في تنسيق الكلام البليغ في جملهم، والفصاحة في مفرداتهم، وبخلوّها من التعقيد والمنافرة والشذوذ، وقد بلغ العرب الذروة في فنون الأدب، فكانت مواسمهم ومحتشداتهم مفعمة بالتفنن في ذلك، والتبجح بروعته، فكان سوق عكاظ نموذجاً مما كانوا عاكفين عليه، فقد كان يأتي إليه صاغة العقول، صيارفة الكلام، وخطباء الأُمة العربية ونوابغها، لبث المفاخر والمآثر، والتبختر بما يخص كلاً منهم من نفسيات وطبائع"[49]، وبنفس هذا الوصف يذكر السيد الخوئي إذ قال: فقد كان المرء يقدر على ما يحسنه من كلام، وبلغ من تقديرهم للشعر أن عمدوا لسبع قصائد من خيرة الشعر القديم، وكتبوها بماء الذهب، وعلقت على الكعبة، فكان يقال هذه مذهبة فلان إذا كانت اجود شعره[50].

واضاف العلامة الأوردبادي: "أن هذه الفضيلة شرعٌ سواءٌ بين أفراد هذه الأمة، حتى لا تكاد تجد فرداً تعزب عنه ملكة البلاغة، وعرفان مُوجباتها، والوقوف على عللها ومنافيتها، فكانت هي أُمة البلاغة، ولها الحكم البات في تشخيص مواردها، والتمييز فيه... ثم يقول الأوردبادي: ولذلك كان الذي بهرهم وقهرهم من المعجز؛ القرآن الكريم الحاوي لملامح العلوم والمقاصد البعيدة، من المعارف والحكم"[51].

ولما اقتضت الحكمة الإلهية في اختيار المعجزة من جنس ما اشتهر بين القوم، أي أن معجزة كل أُمة بحسب مبلغهم من الفهم، وعلى قدر عقولهم وأذهانهم.

فمثلاً: "لما كان السحر والشعوذة منتشرا بين المصريين عامتهم وخاصتهم استرهبهم فرعون وجنوده به، فجاءت معجزات موسى عليه السلام من جنس المشهور بين قومه، فقهرهم الله تعالى بمعجزة العصا، فطفقت تلقف ما

يأفكون من حبالهم وعصيهم"[52]، قال تعالى: ﴿فَأَلْقَوْاْ حِبَالَهُمْ وَعِصِيَّهُمْ وَقَالُواْ بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ ٱلْغَٰلِبُونَ﴾ ﴿فَأَلْقَىٰ مُوسَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ﴾[53].

وكذلك معجزة عيسى عليه السلام: "كانت منسجمة مع البيئة؛ ذلك لأن العهد الذي أرسل فيه، كان رائجاً فيه الطب العميق، والمعالجات الخارقة، فقهرهم الله تعالى بأرسال عيسى عليه السلام بإحياء الموتى، وإبراء الأكمه والأبرص بأذنه"[54]، قال تعالى على لسان عيسى: ﴿ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُم بِئَايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ أَنِّيٓ أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِ ٱللَّهِۖ وَأُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ وَأُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ ٱللَّهِۖ﴾[55].

إن العرب كانوا من أصحاب العلوم والمعرفة وتميزوا بالبلاغة والفصاحة، وفي هذا الصدد يذكر العلامة الأوردبادي قائلاً: "لا ينكر أن لنوابغ العرب وأفذاذهم المعدودين علوماً جمة برعوا بها، وحقت لهم بذلك العبقرية والتقدم، كما يوقفك عليها سيرك الحثيث بين ثنايا التاريخ، وطيات الكتب، وهم في ذلك بين من استنبط تلكم العلوم بتفكيره الثاقب، ومن استقاها من جارات العرب من الأمم الراقية، ومن اهتدى إليها بفطرته السليمة، كما يُستنبط ذلك من كثير من الخطب والأشعار والمحاورات، فقد بلغوا في الذكاء حداً لا يجارى ولا يبارى، فقد جعل الله تعالى معجزة رسوله الأعظم صلى الله عليه وآله ـ كتاب عزيز ـ، أحكمت آياته، وفصلت كلماته، وبهرت بلاغته العقول، وظهرت فصاحته على كل معقول"[56]، قال تعالى: ﴿لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾[57].

ويصف الشيخ محمد هادي معرفة القرآن بقوله: "ومما خص الله سبحانه وتعالى رسوله الأعظم صلى الله عليه وآله من المعجزات؛ القرآن الكريم: وهو آية حسية عقلية صامتة ناطقة باقية على الدهر مبثوثه في الأرض"[58].

فمن مزايا القرآن المعجزة الخالدة: "هو استنباط الأحكام الشرعية منه، فآية تصديق الرسالة في الرسالة نفسها، وليس في معجزات الأنبياء السابقين ما يُستنبط منها حكماً شرعياً، وهذه ميزة فريدة لمعجزة الرسول صلى الله عليه وآله فدلالتها على مصدرها الرباني كامن فيها نفسها، فالرسالة هي المعجزة، والمعجزة هي الرسالة، كانت معجزات الأنبياء ملائمة لطبيعة رسالاتهم، وكانت المعجزة تنتهي بوفاة الرسول، ولا يبقى عنها إلا الحديث عنها، أما الرسالة المحمدية فهي مستمرة إلى يوم القيامة، ولا بد من معجزة مستمرة تقيم الحجة على الأجيال اللاحقة بصدق الرسول وربانية رسالته"[59].

على الرغم من مرور عدة قرون من نزول القرآن الحكيم ما زال يتحدى الجميع دون استثناء، قال تعالى: ﴿قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُواْ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾[60].

وذكر داود العطار: "أن القرآن الحكيم حمل للبشر أفضل ما تحلم به شعوب العالم، في مجال العقيدة والتشريع، والأخلاق، مما يحقق للفرد والجماعة السعادة في الدنيا والأخرة، ومن جهة أخرى فقد حققت رسالة القرآن الكريم نهضة حضارية إنسانية، شاملة كاملة، غيرت مجرى الحياة، فالرسول الأعظم جاء بمعجزة هي كبرى المعجزات وباقية خالدة ما بقي النوع الإنساني"[61].

يقول السبحاني: "العلم مجهز بكل أنواع الآلات والأفكار، لكنه عاجز عن مجابهة هذا التحدي القاطع، وهذ دليل على أن القرآن الحكيم فوق كلام البشر"[62].

وهذا التحدي القاطع الذي ذكره السبحاني وصفه العلامة الأوردبادي قائلاً: "أن القرآن الكريم معجزٌ عام، لعامة العصور، أعجز البليغ في سرده، أعجز العالم في علومه، أعجز المكتشف في خوارقه، أعجز الفلكي في أرصاده، أعجز الخطيب في عِظاته، أعجز الحكيم في فلسفته"[63].

المطلب الخامس: وجوه الإعجاز في القرآن الكريم، عند العلامة الأوردبادي

قال العلامة الأوردبادي: "إن القرآن الكريم لم يقهر قومه من ناحية البلاغة، فحسب ـ وأن كان فيها غنىً وكفاية في إقامة الحجة ـ لكنه بهرهم بأسلوبه البديع، وتفننه في الحقائق الراهنة، لذلك تجد في من خضع لبراعة القرآن الكريم، البدوي الذي ليس له إلا الفطرة، والعالم الضليع، والفيلسوف المحقق، والمفكر المتعمق، والخطيب البليغ، والشاعر المُفلق... فقد استحوذ القرآن على العرب جميعاً، ففيهم، من خضع لبلاغته العالية، ومفرداته الفصيحة، ومنهم، من بخع لتصويراته الفنية، ومنهم، من تنازل لعلومه الجمة، ومنهم، من آمن بأخلاقياته الكريمة، ومنهم، من دان بأحكامه الاجتماعية، وتشريعاته المعقولة، وإشاراته وتلويحاته"[64].

واختلف العلماء في تحديد وجوه الإعجاز في القرآن، فذكر بعضهم عشرة اقوال[65]، وبعضهم أورد اثنتا عشر قولاً[66]، وآخرون ذكرو وجه واحد[67]، وموضوع بحثنا هو ما ذكره العلامة الأوردبادي، فقد ذكر ثلاث وجوه للإعجاز، فأبتدأ بوجه إعجاز القرآن من جهة التاريخ، ثم الإعجاز من جهة التصوير الفني، ثم ختم بالإعجاز من جهة الاحتجاج.

الوجه الأول: إعجازه من جهة التاريخ

من وجوه الإعجاز للقرآن الكريم، حسب ما ذكر العلماء، إعجاز القرآن من جهة التاريخ.

قال القرطبي: "إن الإخبار عن الأمور التي تقدمت في أول الدنيا الى وقت نزوله، من أمي ما كان يتلو من قبله من كتاب ولا يخطه بيمينه، فأخبر بما كان من قصص الأنبياء مع أممها، والقرون الخالية في دهرها وذكر ما سأله أهل الكتاب عنه وتحدّوه به، من قصة أهل الكهف وشأن موسى والخضر (عليهما السلام) وحال ذي القرنين، فجاءهم، وهو أمي من أمة أمية ليس لها بذلك علم، بما عرفوا من الكتب السابقة السالفة صحته فتحققوا صدقه"[68].

واورد العلامة البلاغي في آلاء الرحمن إذ قال: "لا نقول بذلك بمحض اخباره عن الحوادث الماضية و الأمم الخالية و إن كان رسول الله الذي جاء به لا يقرأ و لا يكتب و لم يدخل مدرسة و لم يمارس تعلما، كما هو المعلوم من تاريخ حياته ﷺ فإنه يمكن ان يقال ان هذا الإخبار المذكور ممكن في العادة لنوع البشر وان كان معرضا للعثرات التي لا تقال، بل نقول ان القرآن الكريم اشترك في تاريخه في بعض القصص، مع التوراة الرائجة التي اتفق اليهود و النصارى على انها كتاب الله المنزل على رسوله موسى، فأوردت هذه التوراة تلك القصص وهي مملوءة من الخرافات أو الكفر وعدم الإنتظام"[69].

أما العلامة الأوردبادي فيقول: "إن القرآن الكريم جاء مهيمناً على الكتب السماوية ـ وما فيها من نزعات إشراكية، ومبادئ وثنية، وما تضمنتها من منافيات العفة والمروءة، والنسب الشائنة المعزوة إلى قدس الصانع الحكيم، وإلى الإنبياء والرسل ـ في تاريخه النزيه، فلم يَدَع خرافةٌ، إلا اكتسحها، يوم كان العلم قصراً على تلكم الكتب، والدراسة موقوفةً عليها، والناهضون بتعلمها، والناهضون بتعليمها ينشرون خرافاتها جماعة من روحانيي الكنيسة... يحسبون أن لها قسطاً من القداسة، بايهام أنها كتب مقدسة، ومنتزعه من الوحي الإلهي، فلم يكن لتاريخ الأنبياء مصدرٌ أوثق من هذه الكتب"[70].

و"لو كان القرآن يستقي من أوهامها؛ لكن مشوباً بتلك المغالطات، ولا أقل من أن يكون فيه بقايا، من هاتيك الأقاصيص المشوهة لسمعة الإنسانية، غير أن الذكر الحكيم لم يفتأ مثبتاً صفات الجلال والجمال والكمال للصانع المقدس، ومنزهاً إياه وأنبياءه ورسله من أي عيب"[71].

ويذكر لنا العلامة الأوردبادي، بعض القصص الخرافية المنافية لجلال الله تعالى وقدس أنبيائه، تعرض البحث بالإشارة إلى بعضها.

مثال ذلك: ما جاء من إسناد الكذب والخديعة إلى الله تعالى، والصدق والنصيحة إلى الحية التي هي الشيطان إذ يقول: "وكانت الحية أَحيَل جميع حيوانات البرية التي عملها الرب الإله، فقالت للمرأة: أحقاً قال الله: لا تأكلا من كُل شجر الجنة؟ فقالت المرأة للحية: من ثمر شجر الجنة نأكل، وأما ثمر الشجرة التي هي في وسط الجنة فقال الله: لا تأكلا منه، ولا تمساه، لئلا تموتا، فقالت الحية للمرأة: لن تموتا، بل الله عالم أنه يوم تأكلان منه تنفتح أعينكما، وتكونان كالله عارفين الخير والشر، فرأت المرأة أن الشجرة جيدة للأكل، وأنها بهجة للعيون، وأن الشجرة شهية للنظر، فأخذت من ثمرها وأكلت، وأعطت رجُلَها ايضاً معها، فأكل فانفتحت أعينهما، وعلما أنهما عريانان، فخاطا أوراق تين، وصنعا لأنفسهما مآزر"[72].

ويرد العلامة الأوردبادي: "هذه الخزاية أن المولى سبحانه ما كانت تروقه المعرفة لخليفته في الأرض، هو وزوجه، فأراد لهما البقاء مع الجهل، لولا أن الحية نصحتهما فتركتهما يسيران على ضوء العرفان، وأن تدهور خليفة الله آدم في ضِعَةِ الجهل كان على حدٍ لا يشعر معه أنه يَمرَحه في الجنة عرياناً مكشوف العورة، وأنه اختبأ عن الله تعالى بظلال الأشجار غير شاعرٍ بأنه سبحانه لا يحجز عنه ساتر، ولو كان ذلك؛ لكان الأولى بالنبي المعصوم أن يتستر في معصية الله ـ جلت عظمته ـ بترك مخالفة أمره، لكن الذي يهون الخطب أن كل هذه أوهام وخيالات لا مقيل لها في مستوى الحقيقة"[73].

ثم يعرج العلامة الأوردبادي قائلاً: " أما القرآن الكريم؛ فليس في جميع ما جاء عن آدم نص بأن النهي عن أكل ثمر الشجرة كان تحريمياً، يستحق من خالفه الذم والعقاب، لكن الذي يُستشعر من جُمَلِهِ، وتؤكده القرائن القطعية ـ متصلة ومنفصلة ـ أنه نهي إرشادي، ليس في مخالفته إلا تعب الحياة، وعناء المعيشة، كما في نهي الطبيب مرضاه عن أكل ما لا يلتئم مع عللهم"[74].

ويضرب لنا العلامة مثالاً آخر إذ قال: "ومما جاء في حق المسيح في «العهد الجديد» والإصحاح السادس والعشرين من (متى)[75]، "أنه حاشاه، شرب الخمر"[76]. "وحديث مصارعة يعقوب مع الله، فلم يَقوَ أيٌّ منهما على الآخر، وإذ عجز الرب سبحانه قال له: أطلقني، فقال يعقوب: لا أطلقك إن لم تباركني، فباركه وسماه إسرائيل، لأنه يجاهد مع الله والناس، إلى آخر ما هنالك من سفاسف؛ مذكورة في الإصحاح الثاني والثلاثين من سفر التكوين"[77].

ويعرج العلامة على ذلك قائلاً: "بخٍ بخٍ لرب لا يقوى على صراع عبدٍ غير خاضع له، حتى إنه أعطاه البركة مرغماً لإرادته، فأطلقه العبد، إلى غير هذه مما تتضجر منه العقول، وتقشعر منه الجلود، ثم يبين العلامة الأوردبادي: أن القرآن الكريم ـ بما أنه منتزع من الوحي الأقدس، وهو كلام إله حكيم ـ خِلوٌ من أمثالها؛ من سرف القول، وفحش الأهواء، لأنه نزه مَن ذكره من الأنبياء والرسل، ولم يحدّث عنهم إلا بالإكبار والتقديس"[78].

وفي التنزيل مما جاء عن المسيح عليه السلام؛ قال تعالى: ﴿ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ وَلَا تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّۚ إِنَّمَا ٱلۡمَسِيحُ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلۡقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرۡيَمَ وَرُوحٞ مِّنۡهُۖ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۖ وَلَا تَقُولُواْ ثَلَٰثَةٌۚ ٱنتَهُواْ خَيۡرٗا لَّكُمۡۚ إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ سُبۡحَانَهُۥٓ أَن يَكُونَ لَهُۥ وَلَدٞۘ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلٗا ١٧١﴾[79]، وقوله تعالى: ﴿مَّا ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ مَرۡيَمَ إِلَّا رَسُولٞ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِهِ ٱلرُّسُلُۖ وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٞۖ كَانَا يَأۡكُلَانِ ٱلطَّعَامَۗ ٱنظُرۡ كَيۡفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ ٱلۡأٓيَٰتِ ثُمَّ ٱنظُرۡ أَنَّىٰ يُؤۡفَكُونَ ٧٥﴾[80].

وفي ضمن هذا السياق قال العلامة الأوردبادي: "فلو كان الذكر الحكيم مُقتبساً من كتب العهدين؛ لكان مشوهاً بما شوهتها من أقاصيص خرافية ومهازل، وكذلك لو كان مأخوذاً من أفواه الرجال؛ لما عداه أن يكون لِدَةَ ما هو سائد عندهم يومئذ، إما للتزلف، أو لكفهم عنه فينضووا إلى رايته، أو ينهاهم عن أذاه ومعارضته، فإذا لم يكن كل ذلك، فمن المستحيل أن يهتدي إنسان عادي إلى ذيالك التاريخ الصحيح، وهو في بيئة يغلب على أهلها الجهل والهمجية، ولم يدخل هو مدرسة أو كلية، وما كان يقرأ ولا يكتب، والأمد بينه وبين تلكم العصور بعيدٌ غاية البعد"[81].

الوجه الثاني: إعجازه من جهة الاحتجاج

ذكر العلماء أن من وجوه الإعجاز في القرآن الكريم، إعجازه من ناحية الاحتجاج، فالاحتجاج أسلوب بلاغي يقوم على الحوار، ويخاطب فيه الآخر المخالف؛ لغرض الوصول معه إلى الحق والصواب.

يذكر الشيخ البلاغي في هذا الوجه من وجوه الإعجاز في القرآن الكريم إذ قال: "نهض رسول الله صلى الله عليه وآله لتعليم البشر وتنوير بصائرهم في عصر الظلمات والجهل، ولإرشادهم الى حقائق المعارف، فجاء صلى الله عليه وآله في قرآنه بكثير

من الحجج الساطعة على أهمّ المعارف و أشرفها، تلك الحجج الجارية على أحسن نهج وأعمّه نفعا في الاحتجاج و التعليم، فاحتجّ على وجود الإله ولوازم إلهيته، وعلمه وقدرته، وتوحيده، وعلى المعاد الجسماني، وعلى ان القرآن وحي إلهي، وعلى صدق الرسول في دعوته فلا يكاد يوجد في شيء من هذه الحجج خلل عرفاني أو وهن أدبي، فإذا فرضت أي بشر أي يعيش في ذلك العصر، وتكون نشأته بين الأعراب الوحشيين والوثنيين، وأنه لم يتعاطَ تعلماً ولا تأدباً على معلم، علمت أنه يمتنع عليه في العادة بما هو بشر وبلا وحي إلهي إليه أن يأتي ببيان المعارف الصحيحة في عصره و بيئته وقومه ويحتج عليها بتلك الحجج النيرة القيمة على ذلك المنهاج الممتاز بفضيلته"[82].

أما العلامة الأوردبادي فقد تناول هذا الوجه من وجوه الإعجاز في القرآن الكريم، فبدأ بقوله: "جاء النبي الأعظم ﷺ تسبقه راية الهدى، وبين شفتيه كتاب ربه، وملؤُه البرهنة والحِجاج الصحيح المُستقى من معين العلم، ونور المعرفة، ثم يتسائل العلامة الأوردبادي إذ يقول: أفمن الصحيح أن رجلاً تربى بين أُمة وحشية ـ تَحكَّمَ فيها الجهل الشائن، ولم يقرع أسماعها سوى لفظ الهمجية، ولم تشاهد عينها غير مظاهر البربرية، ولا تأدبت بغير عوامل الفوضى، وتقاليد الجاهلين ـ يرتب تلكم الأقيسة ترتيباً لا يداخله ثلمة، ولا يدنو من مُنظمها زلة؟ وقومهُ يعانون الجهل السائد، ولا صلة لهم بأي فضيلة، حتى آن له أن يملأ العالم بمظاهر فضله، وبمكارم أخلاقه، ويضيئه بنور كماله، والعلم ينفجر من جوانبه، لعمر الحقّ، هذا من المستحيل لولا أن التأييد الإلهي يمده، والفيض الأقدس ينطق على لسانه"[83].

ولما كانت الأشياء تُعرف بأضدادها، ذكر العلامة الأوردبادي مثالاً على الأحتجاج، ورد في الإصحاح التاسع عشر(متى 3 ـ 9) الذي يُزعم أنه من الوحي والالهام، فلاحظ ما فيهما من الحجاج السخيف.

مثال ذلك: «المنع من الطلاق».

فقد ورد في العهد الجديد: "وجاء إليه الفريسيون ليجربوه قائلين له: هل يحل للرجل أن يطلق امرأته لكل سبب؟ فأجاب وقال لهم: أما قرأتم: أن الذي خلق مِنَ البدءِ خَلَقَهُما ذكراً وأُنثى؟ وقال: من أجل هذا يترك الرجل أباه وأُمه، ويلتصق بامرأته، ويكون الاثنان جسداً واحداً، إذاً ليسا بَعدُ اثنين، بل جسدٌ واحدٌ، فالذي جمعه الله لا يفرقه إنسان؟ قالوا له: فلماذا أوصى موسى أن يُعطى كتابُ طلاقٍ فَتُطَلَقُ؟ قال لهم: إن موسى من أجلِ قساوة قلوبكم أَذِنَ لكم أن تطلقوا نساءكم، ولكن من البَدء لم يكن هكذا، وأقول لكم: إن من طلق امرأته ـ إلا لسبب الزنا ـ وتزوج بأخرى؛ يزني، والذي يتزوج بمطلقة يزني"[84].

الوجه الثالث: إعجازه من جهة التصوير الفني

من وجوه الإعجاز في القرآن الكريم، الذي تناوله العلماء إعجاز القرآن من جهة التصوير الفني.

قال سيد قطب في هذا الوجه من وجوه الإعجاز في القرآن الكريم: "التصوير هو الأداة المفضلة في أسلوب القرآن، فهو يعبر بالصورة المحسة المتخيلة عن المعنى الذهني، والحالة النفسية، وعن الحادث المحسوس، والمشهد المنظور، وعن النموذج الإنساني والطبيعة البشرية، ثم يرتقي بالصورة التي يرسمها فيمنحها الحياة

الشاخصة، أو الحركة المتجددة، فإذا المعنى الذهني هيئة أو حركة، وإذا الحالة النفسية لوحة أو مشهد، وإذا النموذج الإنساني شاخص حي، وإذا الطبيعة البشرية مجسمة مرئية، فأما الحوادث والمشاهد، والقصص والمناظر، فيردها شاخصة حاضرة، فيها الحياة، وفيها الحركة، فإذا أضاف إليها الحوار فقد استوت لها كل عناصر التخييل، فما يكاد يبدأ العرض حتى يحيل المستمعين نظارة، وحتى ينقلهم نقلاً إلى مسرح الحوادث الأول، الذي وقعت فيه أو ستقع، حيث تتوالى المناظر، وتتجدد الحركات، وينسى المستمع أن هذا كلام يتلى ومثل يضرب، ويتخيل أنه منظر يعرض"[85].

من نواحي الإعجاز في القرآن الكريم أنه يعرض أمامك الصورة البارعة التي تأخذ بالألباب وتستولي على الأفئدة فتتحول إلى مشهد رائع أو لوحة خالدة، وقد نزل القرآن على العرب والأمية فيهم منتشرة فعرض عليهم كتاب الكون بكل ما فيه، وقدم لهم لوحات خالدة وصوراً مثيرة تستلفت نظر الأعمى والبصير والأمي والمتعلم، والمرأة والرجل، والشيخ والشاب، فهو كتاب العامة والخاصة على السواء، وقد كان القرآن يستلفت أنظار الناس إلى جمال هذا الكون وبديع صنعته، ويسترسل في سوق الأدلة المتتالية حتى يأخذ على النفس كل طريق فلا تجد سبيلا من الاذعان والإيمان عن اقتناع حق بأن هذا الكون لم يخلق عبثاً ولن يترك سدى"[86].

وجاء في الواضح في علوم القرآن: "أن التصوير القرآني هو تحويل الحروف الصوتية الجامدة إلى ريشة تنبع من رأسها الأصباغ والألوان المتخلفة، حسب الحاجة والطلب، لتحيل بدورها المعاني المعتادة إلى صور يتأملها الخيال، ويدركها الشعور، وتكاد العين أن تستوعبها قبل أن يستوعبها العقل"[87].

أما العلامة الأوردبادي فقد تناول هذا الوجه من وجوه الإعجاز القرآني ألا وهو إعجاز القرآن من وجهة التصوير الفني، إذ قال: "من مشاهد التصوير الفني التي وردت في القرآن الكريم، هي ما نبأ به سبحانه عن مَجالي يوم البعث والنشور، فانعطفت عليها نفوس الأمم والأجيال، وتأثرت بما فيها من مشاهد الحزن، فلم تَرَ أنفسها إلا بين لفحة ونسمة، وعذاب ونعيم، وكان موقفها وسطاً، بين الخوف الكابح لجماح النفس وشراسة الطبع البشري، وبين الرجاء الجالب للطمأنية والارتياح،... ثم يقول العلامة الأوردبادي: فلم يَدَع القرآن الكريم الدار الآخرة موصوفة فحسب، وإنما تركها ـ برَوعة بيانه، وجودة سرده ـ محسوسة مصورة، وماثلة مرئية"[88].

من مظاهر التصوير القرآني:

التصوير القرآني لإضاعة عمل الذين كفروا، كما في قوله تعالى: ﴿وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُواْ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا٢٣﴾[89].

فيجعلك تتخيل صورة ضياع الإعمال الهباء المنثور.

ومن مظاهر التصوير الفني في القرآن، تجسيم المعنويات وتضخيمها، وإبرازها وكأنها أجسام أو محسوسات، حسب ما يقتضي المشهد، كما في قوله تعالى: ﴿وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَىٰ ظُهُورِهِمْ أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ٣١﴾[90].

فهذه الآية عند قراءتها يتصور القارئ الإعمال السيئة وكأنها أثقال كبيرة، يحملها العاصون.

وقد ذكر العلامة الأوردبادي من ابداع القرآن الكريم في نقل مشاهد القيامة، إلى صور النعيم، والعذاب[90].

فيصور مشاهد أصحاب النعيم، كما في قوله تعالى:﴿مَّثَلُ ٱلۡجَنَّةِ ٱلَّتِي وُعِدَ ٱلۡمُتَّقُونَۖ فِيهَآ أَنۡهَٰرٞ مِّن مَّآءٍ غَيۡرِ ءَاسِنٖ وَأَنۡهَٰرٞ مِّن لَّبَنٖ لَّمۡ يَتَغَيَّرۡ طَعۡمُهُۥ وَأَنۡهَٰرٞ مِّنۡ خَمۡرٖ لَّذَّةٖ لِّلشَّٰرِبِينَ وَأَنۡهَٰرٞ مِّنۡ عَسَلٖ مُّصَفّٗىۖ وَلَهُمۡ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ وَمَغۡفِرَةٞ مِّن رَّبِّهِمۡۖ كَمَنۡ هُوَ خَٰلِدٞ فِي ٱلنَّارِ وَسُقُواْ مَآءً حَمِيمٗا فَقَطَّعَ أَمۡعَآءَهُمۡ١٥﴾[91]، لاحظ كيف يدعك ترسم صور في خيالك، للجنة، وأنهار من ماء، ونهر من لبن، ونهر من خمر، ونهر من عسل، وأنواع الثمرات.

أما مشاهد أصحاب العذاب، كما في قوله تعالى: ﴿وَٱقۡتَرَبَ ٱلۡوَعۡدُ ٱلۡحَقُّ فَإِذَا هِيَ شَٰخِصَةٌ أَبۡصَٰرُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَٰوَيۡلَنَا قَدۡ كُنَّا فِي غَفۡلَةٖ مِّنۡ هَٰذَا بَلۡ كُنَّا ظَٰلِمِينَ٩٧﴾ [92]، ترى فانظر كيف يجعلك تتخيل حال الذين كفروا كأنك ترَ فزعهم وندمهم.

ولا شك أن العلامة الأوردبادي تناول وجوه إعجاز القرآن الكريم، التي هي إعجاز القرآن من جهة التاريخ، وإعجاز من جهة الاحتجاج، وإعجاز من جهة التصوير الفني في القرآن، ولم يتطرق إلى وجوه الإعجاز الأخرى، كالإعجاز التشريعي، أو البلاغي، أو العلمي، أو...

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وتنال الكرامات، وبفضله أخذ بيدي حتى بلغ البحث منتها، فله جزيل الحمد والثناء الجميل الذي لا حدود لمداه.

وهذا عرض لأبرز ما وصلت أليه من نتائج البحث في هذا الموضوع:

1ـ كان للعلامة دور مهم في مقاومة حملات التبشير من خلال نشر عشرات المقالات في مجلات البلاد الاسلامية.

2ـ يرى العلامة الأوردبادي أن التحدي في القرآن الكريم جاء متدرجاً، فتحداهم، أولاً: بأن يأتوا بمثل هذا القرآن، ثم تدرج معهم إلى الأقل فطلب منهم عشر سور، ثم تدرج إلى ما دون ذلك؛ فطلب إن يأتوا بسورة، فلم يستطيعوا.

3ـ يرى العلامة الأوردبادي أن القرآن الكريم معجز عام لعامة العصور، لم يقهر قومه من ناحية البلاغة، فحسب ـ وأن كان فيها غنىً وكفاية في إقامة الحجة ـ لكنه بهرهم بأسلوبه البديع، وتفننه في عرض الحقائق.

الهوامش:

([1]) الطوسي، محمد بن الحسن (ت460هـ) الأمالي، ط1، 1414هـ، 375.

([2]) الشيخ عبد الحسين الأميني النجفي، شهداء الفضيلة، ط2، مؤسسة الوفاء، بيروت، 1983م، 355، موقع ويكيبيديا، https://ar.wikipedia.org/wik.

([3])القمي، الكنى والالقاب، 20/2.

([4])القمي، الكنى والالقاب، تحقيق، مؤسسة النشر الاسلامي، ط2، 1429هـ، 20.

([5]) القمي، الكنى والالقاب، 20/2ـ 21.

([6]) العاملي، محسن الأميني، أعيان الشيعة، 437/9، كاظم عبود الفتلاوي، المنتخب من أعلام الفكر والأدب، ط1، مؤسسة مواهب بيروت، 1999م، 543، صائب عبد الصمد، معجم مؤرخي الشيعة، 277/2.

([7]) القمي، الكنى والالقاب، 20/2.

([8]) الطهراني، آغا بزرك، طبقات أعلام الشيعة، ط1، دار احياء التراث العربي، 2009م،1332/16.

([9]) الفتلاوي، كاظم عبود، المنتخب من أعلام الفكر والادب، ط1، مؤسسة مواهب بيروت، 1999، 543، ومجلة تراثنا، عدد4، 200.

([10]) صائب عبد الصمد، معجم مؤرخي الشيعة، 277/2.

([11]) الفتلاوي، كاظم عبود، المنتخب من أعلام الفكر والادب، ط1، مؤسسة مواهب بيروت، 1999، 543، وجواد شبر، أدب الطف، 10/ 151، و مجلة تراثنا، مؤسسة آل البيت لأحياء التراث، عدد4، سنة 4/ شوال 1409هـ،201.

([12]) الأوردبادي، محمد علي، موسوعة العلامة الأوردبادي، 90/1.

([13]) الشيخ آغا بزرك الطهراني، طبقات أعلام الشيعة، ط1، دار احياء التراث العربي، 2009م،1335/16.

([14]) الأميني، محمد هادي، معجم رجال الفكر والأدب، 47.

([15]) صائب عبد الصمد، معجم مؤرخي الشيعة، 277/2.

([16]) ينظر: الطهراني، آغا بزرك، طبقات أعلام الشيعة، ط1، دار احياء التراث العربي، 2009م،1335/16.

([17]) الشيخ آغا بزرك الطهراني، طبقات أعلام الشيعة، ط1، دار احياء التراث العربي، 2009م،1335/16، و كاظم عبود الفتلاوي، المنتخب، 545.

*وهو لقب اطلق على ثلاث رجال دين من العلماء والشعراء لكثرة تواصلهم ولكثرة تواجدهم معاً.

([18]) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، 232/4، انظر، الفراهيدي، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري (ت 170هـ) كتاب العين، تحقيق، د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال،215/1، والجوهري، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (ت 393هـ) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق، أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين – بيروت، ط1407،4 هـ – 1987 م، 883/3.

([19]) الجوهري، الصحاح، 545/2.

([20]) ابن منظور، لسان العرب، 368/5- 370. مادة (عجز).

([21]) الجن: 12.

([22]) العنكبوت: 22.

([23]) الطبرسي، مجمع البيان، 569/6.

([24]) السيوطي، الإتقان، 228/2، و مناع بن خليل القطان (ت 1420هـ) مباحث علوم القرآن، ط3، 1421هـ – 2000م، 265.

([25]) محمد جواد البلاغي(ت:1352هـ)، آلاء الرحمن في تفسير القرآن، 1933م ،3/1.

([26]) الخوئي، أبو القاسم، البيان في تفسير القرآن، مؤسسة الأعلمي، ط4، 1974م، 32.

([27]) محمد عبد العظيم الزُّرْقاني (ت 1367هـ) مناهل العرفان في علوم القرآن، ط3، 73/2.

([28]) محمد هادي معرفة، التمهيد، 23/4.

([29]) محمد باقر الحكيم، علوم القرآن، مؤسسة تراث الشهيد الحكيم، ط5، 123.

([30]) فصلت: 42.

([31]) الأوردبادي، موسوعة العلامة الأوردبادي، 13/3.

([32]) الأوردبادي، موسوعة العلامة الأوردبادي، 13/3، ينظر، ناصر مكارم الشيرازي، الأمثل، 93/1، و فهد بن عبد الرحمن بن سليمان الرومي، دراسات في علوم القرآن الكريم، ط1424،12هـ – 2003م، 270، و مصطفى مسلم، مباحث في إعجاز القرآن، دار القلم – دمشق، ط3، 1426 هـ – 2005 م، 38، و محمد أحمد محمد معبد (ت 1430هـ) نفحات من علوم القرآن، دار السلام – القاهرة، ط2، 1426 هـ – 2005 م، 102.

([33]) الإسراء: 88.

([34]) الأوردبادي، موسوعة العلامة الأوردبادي، 13/3، ينظر، ناصر مكارم الشيرازي، الأمثل، 93/1، و فهد بن عبد الرحمن بن سليمان الرومي، دراسات في علوم القرآن الكريم، ط1424،12هـ – 2003م، 270، و مصطفى مسلم، مباحث في إعجاز القرآن، دار القلم – دمشق، ط3، 1426 هـ – 2005 م، 38، و محمد أحمد محمد معبد (ت 1430هـ) نفحات من علوم القرآن، دار السلام – القاهرة، ط2، 1426 هـ – 2005 م، 102.

([35]) هود: 13 ـ 14.

([36]) الأوردبادي، موسوعة العلامة الأوردبادي، 13/3، ينظر، ناصر مكارم الشيرازي، الأمثل، 93/1، و فهد بن عبد الرحمن بن سليمان الرومي، دراسات في علوم القرآن الكريم، ط1424،12هـ – 2003م، 270، و مصطفى مسلم، مباحث في إعجاز القرآن، دار القلم – دمشق، ط3، 1426 هـ – 2005 م، 38، و محمد أحمد محمد معبد (ت 1430هـ) نفحات من علوم القرآن، دار السلام – القاهرة، ط2، 1426 هـ – 2005 م، 102.

([37]) يونس: 38.

([38]) البقرة: 23 ـ 24.

([39]) الأوردبادي، موسوعة العلامة الأوردبادي، 14/3.

([40]) فهد بن عبد الرحمن بن سليمان الرومي، دراسات في علوم القرآن الكريم، ط12، 1424هـ – 2003م، 260.

([41]) مصطفى مسلم، مباحث في إعجاز القرآن، دار القلم – دمشق، ط3، – 2005 م، 19.

([42]) فهد الرومي، دراسات في علوم القرآن، 261.

([43]) الطور :34.

([44]) القرطبس، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين (ت 671هـ) الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي، تحقيق، أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية – القاهرة، ط2، 1384هـ – 1964 م، 71/1.

([45]) فهد الرومي، دراسات في علوم القرآن، 261.

([46]) فهد الرومي، دراسات في علوم القرآن،262.

([47]) الأصفهانى، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب (ت 502هـ) تفسير الراغب الأصفهاني، تحقيق، محمد عبد العزيز بسيوني، كلية الآداب – جامعة طنطا، ط1، 1420 هـ – 1999 م، 42/1.

([48]) السيوطي، الإتقان، 4/4.

([49]) الأوردبادي، موسوعة العلامة الأوردبادي، 8/3.

([50]) الخوئي، البيان في تفسير، 39.

([51]) الأوردبادي، موسوعة العلامة الأوردبادي، 8/3.

([52]) مصطفى مسلم، مباحث اعجاز القرآن، 26.

([53]) الشعراء: 44 ـ 45.

([54]) فضل حسن عباس، اتقان البرهان في علوم القرآن، ط1، 1997م، 109/1.

([55]) آل عمران: 49.

([56]) الأوردبادي، موسوعة العلامة الأوردبادي، 8/3.

([57]) فصلت: 42.

([58]) محمد هادي معرفة، التمهيد، 27/4.

([59]) مصطفى مسلم، مباحث اعجاز القرآن، 26.

([60]) الإسراء: 88.

([61]) داود العطار، موجز علوم القرآن، 24.

([62]) السبحاني، جعفر، العقيدة في ضوء مدرسة أهل البيت، 144.

([63]) الأوردبادي، موسوعة العلامة الأوردبادي، 50/3.

([64]) الأوردبادي، موسوعة العلامة الأوردبادي، 51/3.

([65]) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، 75، محمد هادي معرفة، التمهيد، 35/4.

([66]) السيوطي، الإتقان، 6/4 ـ 16.

([67]) محمد هادي معرفة، التمهيد، 35/4.

([68]) القرطبي، محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح أبو عبد الله، الجامع لأحكام القرآن،105/1.

([69]) البلاغي، محمد جواد، تفسير آلاء الرحمن، ط1، 9/1.

([70]) الأوردبادي، موسوعة العلامة الأوردبادي، 52/3.

([71]) الأوردبادي، موسوعة العلامة الأوردبادي، 53/3.

([72]) الكتاب المقدس، 4/ كتاب التكوين، الاصحاح3.

([73]) الأوردبادي، موسوعة العلامة الأوردبادي، 54/3.

([74]) الأوردبادي، موسوعة العلامة الأوردبادي، 55/3.

([75]) الكتاب المقدس، العهد الجديد، 49.

([76])الأوردبادي، موسوعة العلامة الأوردبادي، 55/3.

([77]) الكتاب المقدس، 30/ كتاب التكوين، آخر الإصحاح 1،89/32.

([78]) الأوردبادي، موسوعة العلامة الأوردبادي، 57/3.

([79]) النساء: 171.

([80]) المائدة: 75.

([81]) الأوردبادي، موسوعة العلامة الأوردبادي، 58/3.

([82]) البلاغي، آلاء الرحمن، 12/1، كمال الحيدري، الإعجاز بين النظرية والتطبيق، 134.

([83]) الأوردبادي، موسوعة العلامة الأوردبادي، 61/3.

([84]) الكتاب المقدس، العهد الجديد، (أنجيل متى)34/ الإصحاح 19، 167/4.

([85]) سيد قطب، التصوير الفني في القرآن، ط17، 2002م، 36.

([86]) عبدالله محمود شحاته، علوم القرآن، 128.

([87]) مصطفى ديب البغا، محيي الدين ديب مستو، الواضح في علوم القرآن، ط2، دار الكلم الطيب، 1998م، 169.

([88]) الأوردبادي، موسوعة العلامة الأوردبادي، 59/3.

([89]) الفرقان: 23.

([90]) الإنعام: 31.

(90) الأوردبادي، موسوعة العلامة الأوردبادي، 59/3.

(91) محمد :15.

(92) الأنبياء: 97.

المصادر والمراجع

خير ما نبتدئ به القرآن الكريم

1.الأوردبادي، محمد علي بن أبي القاسم بن محمد تقي، موسوعة العلاَّمة الأوردبادي، تحقيق محمد آل مجدد الشيرازي، ط1، مكتبة العتبة العباسية المقدسة، كربلاء، 1436هـ -2015م.

2.الأصفهانى، الحسين بن محمد المعروف بالراغب (ت 502هـ)، تفسير الراغب الأصفهاني، تحقيق محمد عبد العزيز بسيوني، ط1، كلية الآداب، جامعة طنطا، 1420 هـ - 1999 م.

3.الأميني، محسن بن عبد الكريم بن علي بن محمد الأمين (ت1399هـ)، أعيان الشيعة، تحقيق حسن الأمين، دار التعارف للمطبوعات، 1409هـ -1989م.

4.الأميني، محسن بن عبد الكريم بن علي بن محمد الأمين (ت1399هـ)، أعيان الشيعة، تحقيق حسن الأمين، دار التعارف للمطبوعات، 1409هـ -1989م.

5.الأميني، محمد هادي بن عبد الحسين بن أحمد (ت1420هـ)، معجم رجال الفكر والأدب في النجف الأشرف، ط1، نشر مطبعة الآداب، النجف الأشرف، 1385هـ - 1966م.

6.الأميني، عبد الحسين النجفي، شهداء الفضيلة، ط2، مؤسسة الوفاء، بيروت، 1983م.

7.البلاغي، محمد جواد بن حسن بن طالب (ت 1352هـ)، آلاء الرحمن في تفسير القرآن، ط1، مطبعة العرفان، صيدا، 1933م.

8.الجوهري، الصحاح تاج اللغة، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار، ط4، دار العلم للملايين - بيروت، 1407هـ- 1987 م.

9.الحكيم، محمد باقر، علوم القرآن، ط4، المجمع العالمي لأهل البيت (عليهم السلام) بالتعاون مع المجمع الفكر الاسلامي، 1419هـ. ق، 1422هـ.

10.الخوئي، أبو القاسم بن علي أكبر بن هاشم بن تاج الدين الموسوي (ت1413هـ)، البيان في تفسير القرآن، ط4، دار الزهراء للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت -لبنان، 1395هـ -1975م.

11.الرومي، فهد بن عبد الرحمن، دراسات في علوم القرآن، ط14، الرياض، 2005.

12.الزُّرْقاني، محمد عبد العظيم (ت 1367هـ)، مناهل العرفان في علوم القرآن، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، ط3، (د ت).
13.السبحاني، جعفر، العقيدة في ضوء مدرسة أهل البيت ، دار الولاء، بيروت، ط/3، 2005م.
14.سيد قطب، التصوير الفني في القرآن، ط17، 2002م.
15.الطهراني، محمد حسين بن محمد صادق بن ابراهيم (آغا بزرك)، طبقات أعلام الشيعة، ط1، دار احياء التراث العربي، بيروت –لبنان، 2009م.
16.الفتلاوي، كاظم عبود، المنتخب من أعلام الفكر والادب، ط1، مؤسسة مواهب، بيروت، 1999م.
17.الفراهيدي، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري (ت 170هـ) كتاب العين، تحقيق، د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي،ط1، دار ومكتبة الهلال، 1997م.
18.فضل حسن عباس، اتقان البرهان في علوم القرآن، ط1، 1997م.
19.القرطبي، شمس الدين محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي (ت 671هـ)، الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي)، تحقيق أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، ط2، دار الكتب المصرية – القاهرة، 1964م.
20.القطان، مناع بن خليل (ت1420هـ)، مباحث في علوم القرآن، ط3، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، 1421هـ- 2000م.
21.القمي، عباس بن محمد رضا بن أبي القاسم (ت1359هـ)، هدية الأحباب في المعروفين بالكنى والالقاب، المطبعة المرتضوية، 1349هـ.
22.الكتاب المقدس، العهد الجديد، (أنجيل متى)34/ الإصحاح 19.
23.كمال الحيدري، الإعجاز بين النظرية والتطبيق، بقلم محمود نعمة الجياشي، مؤسسة الإمام الجواد.
24.مجلة تراثنا، مؤسسة آل البيت لأحياء التراث، شوال 1409هـ، العدد4.
25.محمد هادي معرفة، التمهيد في علوم القرآن، مؤسسة التمهيد، قم المقدسة ، ط3 ، 1432هـ، 2011م.
26.مصطفى ديب ومحيى الدين ديب مستو، الواضح في علوم القرآن، ط3، دار الكلم الطيب، دار العلوم الانسانية – دمشق، 1418 هـ – 1998م.
27.مصطفى مسلم، مباحث في إعجاز القرآن، دار القلم – دمشق، ط3، 1426 هـ – 2005 م.